بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الإسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وأرسل به رسوله محمدًا ﷺ هدى ورحمة للعالمين ، وأنزل عليه كتابه الخالد ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

ولقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً وسخر له ما فى السموات والأرض جميعا منه ، وحباه بالعقل ليستطيع الاستفادة مما سخره الله له .

وقد حاول الإنسان أن يسود الدنيا بالعقل ، ولقد سادها فعْلاً ، ولكنه فشل فى أن يسود نفسه . ومع أن رسول الله ﷺ رسم للبشر مثالاً ممتازاً للحياة فإن البشر عجزوا عن المسير فى طريق الرسول ﷺ ؛ فقد تغلبت عليهم الشهوات ، وخاصة حب المال وحب النساء ، بالرغم من أن محمدا ﷺ كان مثالاً نبيلاً للزهد فى المال والزهد فى النساء . وأرجو أن يُفْهَمَ هنا أن محمداً ﷺ ما كان يتزوج عن شهوة ، وإنما من منطلق إنسانى ؛ فإن

جُلَّ نسائه كانت لهن ظروف صعبة عالجها النبى ﷺ بإنسانيته .

وإذا كانت النبوة اصطفاء من الله لبعض خلقه ليرشدوا الناس ويبلغوهم رسالة الله ، وليقتدى الناس بهم فإننا نحاول أن نقدم فى هذا الكتاب نبراسا من طريق النبوة والرسالة كما رسم محمد رسول الله . فقد رسم طريق التعامل فى أروع صوره ، كما رسم نظاماً عظيماً للحكم لا يعتمد على الجند أو المال ، وإنما على الضمير . كما أنه لم يحدث أبداً أن غضب رسول الله على إنسان وقال له كلاماً مؤلماً ، بل كان دائماً هادئاً مالكاً نفسه ، وإذا أنت درست السيرة عرفت الطريق إلى الإسلام ؛ لأنها طريق النبوة والإنسانية .

وقد خلق الله محمداً نبيا ورسولاً ، خلقه طاهراً نظيفاً ، وفى سن السابعة من عمره أرسل ملكين فتحا صدره ، وأخرجا شر الإنسانية وأقفلاه ، ثم نزل عليه القرآن فى سن الأربعين . ولقد كان رسول الله ﷺ مثالا فريدا فى أخلاقه وسلوكه ، والعرب الجاهليون لقبوه بالأمين ، وعندما نزلت عليه الرسالة كانت إلى جواره امرأته خديجة ، وقد أدركت حقيقة الرسالة ، وأعانت زوجها على تبليغ رسالة ربه . ولم يهتم محمد رسول الله

بالدنيا وما فيها ، حتى أمواله التى كانت له عند الناس تركها لهم ، ووهب نفسه كاملاً للإسلام كما أمره الله تعالى .

وشخصية محمد ﷺ وأسلوبه فى طريقه إلى النبوة والرسالة تحتاج فعلاً إلى دراسة فى أصول سيرته النبوية .

ووظيفتى كمؤرخ هى البحث عن الأسباب والدوافع والخطط والسياسات مع التسليم الكامل بالمشيئة ؛ لأن التاريخ علم بالمنهج والطريقة وأسلوب البحث ، ولابد للمؤرخ من أن يبحث عن العلل ويحلل الحوادث ، ويبحث عن النتائج بأسلوب المؤرخ ومنهجه وطريقته ؛ حتى يقتنع هو بما يدرس ويقنع به غيره .

كما أنه لا تعارض بين الرؤية العاطفية والرؤية التاريخية للسيرة بالنسبة للمؤرخ ، بل إن إحداهما بالنسبة للمؤرخ المسلم تقوى الأخرى وتشد أزرها ، وتزيد السيرة وضوحاً ونصاعة ، وإذا كان الفقيه يقرأ السيرة ويكتبها بقلبه فإن المؤرخ المؤمن يحس بها بقلبه ويدرسها ويكتبها بعقله ، ووجه الخلاف بين الاثنين هو أن الفقيه الذى يكتب السيرة يكتبها للمسلمين وحدهم ، ولا يصل إلى إقناع غير المسلمين ، أما المؤرخ فيطمح إلى إقناع غير المسلمين أو المسلمين الذين فى قلوبهم شك ، فهو

يرجـو باتباعـه المنهج التاريخى النقـدى أن يهدى الله الـضال ، دون أن يمس إيمان المؤمن .

وقد قُمت عند دراستى لهذه الـسيرة بدراسة المغازى والكتب والوفود كلها من زاوية التـاريخ ، فتبينت لى حـقائق يطرب لها قلب كل مـسلم ، ويقتنع بـها من يبـحث عن الحقـيقـة من غيـر المسلمين .

والكتـاب الذى أعرضـه للقارئ الآن يـنقسم إلى قـسمـين ؛ القسم الأول : يتناول طريق النبـوة والرسـالة بشئ من الدقـة، والقسم الثانى : يحتـوى على دراسة فى أصول السيـرة النبوية بإمعان . والله هو المعين ...

المؤلف

د . حسين مؤنس